الكلمة الوداعيّة لرئيس اليونيفيل وقائد القوّة
اللواء ألبرتو أسارتا كوبياس
في حفل تسليم القيادة
28 كانون الثاني/يناير 2012

حضرة الفاعليات الروحية الموقّرين،
أصحاب السعادة، والمعالي، والسادة الضبّاط والسفراء،
الأصدقاء الأعزّاء من الجيش اللبناني وسائر المسؤولين الأمنيين،
الفاعليّات المدنيّة المحترمين،
حضرة ممثّلي الأمم المتّحدة،
الضيوف الكرام، حضرة السيدات والسادة،

دعوني ارحّب بكم جميعًا في حفلنا هذا اليوم، الذي اسلّم فيه قيادة قوّة الأمم المتّحدة المؤقتة في لبنان (يونيفيل) إلى اللواء باولو سيرّا. وأنا أتشرّف جدًّا بمشاركتكم هذه اللحظات، إذ انني أودع زملاء لي وأصدقاء، وشركاء لبنانيين بعد فترة عامين من الخدمة تحت الراية الزرقاء في جنوب لبنان. وما حضور هذا العدد من كبار الضيوف إلاّ شهادة على الدور الّذي أدّته اليونيفيل ولاتزال في إحلال السلام في هذه المنطقة.

وأذكر أنّه لمّا غادرت لبنان للمرّة الأولى، بعد أربعة أشهر أمضيتها كقائد للقطاع الشرقي في اليونيفيل، قال لي أحدهم إنّني سأعود من جديد. وقد عدت بالفعل، بعد مرور أقلّ من عام على ذلك.
ولست أعرف إنّ كانت ولايتي في اليونيفيل إيجابيّة، وأترك أمر الحكم في ذلك إلى زملائي اللبنانيّين. ولكنّني قد خدمت كرئيس لبعثة اليونيفيل وقائد للقوّة لمدّة سنتين، بهدف الحفاظ على الاستقرار في منطقة عمليّاتنا، ولتعزيز الثقة بين الأطراف، كما المساعدة على تحقيق وقف دائم لإطلاق النار، وهو الهدف الأسمى لقرار مجلس الأمن 1701 (2006). ولهذه الغاية، سرت على خطى من سبقوني في هذا المنصب. ولا شكّ أنّنا قد حققنا تقدّمًا كبيرًا في بعض المجالات التي تُعد أساسيّة لنجاح مهمتنا. دعوني إذًا أستعرض سريعًا هذه الإنجازات الأساسيّة، قبل أن اشارككم بعضًا من أفكاري حول المستقبل.

كما تعلمون جيداً، غداة حرب تمّوز 2006، قرّر مجلس الأمن، في قراره رقم 1701 (2006) تعزيز ولاية اليونيفيل وعديدها بشكل كبير. وتلا ذلك انتشار للجيش اللبناني في جنوب لبنان للمرّة الأولى منذ عقود. وخلال الأشهر اللاحقة، أرست اليونيفيل والجيش اللبناني شراكة فعّالة، شكّلت أساس التنفيذ الناجح للقرار 1701 (2006) كما نوّه مجلس الأمن في مناسبات عديدة.
إضافة إلى ذلك، تميّز وجودنا هنا بعلاقة متينة ربطتنا بأهالي الجنوب اللبناني. فعلى مدى السنتين المنصرمتين، ما انفكّت أشكال التفاعل بيننا تتجدّد، ونحن لم نألُ جهدًا لنحظ بتفهّم أهالي المنطقة ودعمهم، وهما أمران أساسيّان لنا في تنفيذنا لمهامنا.

كذلك، شهدنا زيادة كبيرة في بناء الثقة بين الطرفين. ويُردّ ذلك إلى حدّ كبير إلى تدابير الارتباط والتنسيق الشاملة التي تمّ وضعها، سيّما منها المنتدى الثلاثي، وقد برهنت هذه التدابير عن فاعليّتها في احتواء الحوادث أو الإنتهاكات، وأيضًا في حثّ الأطراف على اتخاذ خطوات عمليّة لمنع النزاعات وبناء الثقة.

وكان من النتائج الإيجابيّة لهذه الجهود التقدّم المحرز في التعليم المرئي للخطّ الأزرق. فاليونيفيل، وتماشيًا مع المهمّة التي فُوّضت بها لضمان احترام الخطّ الأزرق كاملاً من قبل الأطراف، قد بدأت عمليّة التعليم سنة 2007. وعام 2010، أُنشئت "مجموعة الخطّ الأزرق"، وبذلك، وبحلول نهاية العام 2009، كان قد تمّ وضع 38 من البراميل الزرقاء، وفي 2010 و2011، وُضِع تباعًا 36 و47 منها. أمّا اليوم، فقد بلغ مجموع البراميل الزرقاء 126، مغطية بذلك نحو 50% من النقاط التي يجب أن تُعلّم. لكنّ الأهمّ يكمن في نزع الألغام من 190 نقطة، في حين أن 61 موقّعا آخر لا زال قيد التنظيف.

وفيما يتعلّق بالقسم الشمالي من بلدة الغجر، فقد تخطّى الموضوع الطريق المسدود بعد أن قبلت إسرائيل مبدئيًّا في تشرين الثاني/نوفمبر 2010، بسحب قوّاتها من المنطقة، وبعد أن اقترحت اليونيفيل تدابير أمنيّة عام 2011. وأنا متفائل بإمكانية تحقيق إنسحاب إسرائيلي فعلي من كافّة الأراضي اللبنانية في المرحلة المقبلة، بفضل تصميم الأطراف المستمرّ.

وفي ما خصّ الوضع العام في منطقة عمليّاتنا، فهو قد بقي في المجمل مستقرًّا خلال السنتين المنصرمتين. إلاّ أنّ الهجومات الإرهابيّة الثلاث التي استهدفت اليونيفيل في 2011، إضافة إلى حوادث إطلاق الصواريخ الأخيرة، تشير وللأسف إلى وجود أسلحة وعناصر مسلّحة مستعدّة لاستخدامها ضدّ قوّاتنا. وإنّني أعتمد على التزام السلطات اللبنانيّة المستمرّ لضمان أمن عناصر اليونيفيل وسلامتهم.

إنّني لطالما أعطيت أولويّة كبيرة لتحسين البنية التحتيّة الموجودة، وذلك لدعم معنويات عناصرنا وتحسين أدائهم. وفي هذا السياق، لا شكّ أنّ توسيع المقرّ الرئيسي لليونيفيل إلى موقع غرين هيل، وتحسين ظروف الحياة والعمل لطاقم اليونيفيل في الناقورة وغيرها من المراكز في منطقة عملياتنا، كانت خير مثال على الجهود المبذولة في هذا الصدد.

بعد مرور أكثر من 5 سنوات على اعتماد القرار، تحسّنت الأوضاع الميدانية بشكل كبير، كما أنّ الأطراف قد حافظوا بشكل عام على وقف الأعمال العدائيّة واحترام الخطّ الأزرق. وقد اضطلعت اليونيفيل بدور مهم في منع نشوب الأعمال العدائيّة الخطيرة والحدّ من أيّ تصعيد للأحداث، وستستمر بتأدية هذا الدور مستقبلاً.

إنّ اليونيفيل، وبفضل الدعم الدائم من المجتمع الدولي، والمساندة الحيويّة التي تمدّها بها الدول المساهمة بالقوّات، ستبقى على التزامها بتنفيذ نشاطاتها العملانيّة المستمرّة في جنوب لبنان، وبالدفع قدمًا بتدابير الارتباط والتنسيق الحاليّة مع الطرفين، والسعي الدائم إلى توطيد التعاون مع الجيش اللبناني. فمعًا سنستمرّ ببذل قصارى جهودنا تنفيذًا للمهام الموكلة إلينا.

غير أن التطبيق الناجز للقرار ١٧٠١ يواجه عددًا من التحديات الإستراتيجية، يخرج الكثير منها عن صلاحيّات اليونيفيل. أمّا أهمّها فيكمن في إحراز تقدم في مسار تحقيق وقف دائم لإطلاق النار والتوصل إلى حل طويل الأمد للنزاع.

وبالفعل، فإنّ الانتشار الحالي لليونيفيل بأصولها ومواردها لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية. وتكمن مسؤولية الأطراف في الإستفادة من الفرص السانحة التي وفرها وجود اليونيفيل، لتخطّي الوضع القائم والتوصّل إلى وقف دائم لإطلاق النار. وسوف يعتمد التطبيق الناجع والناجز للقرار 1701، وتحقيق السلام الدائم في المنطقة في نهاية المطاف، على الالتزام الثابت والجهود المشتركة من قبل الأطراف والمجتمع الدولي في الفترة المقبلة.

في هذا السياق، لا بدّ من التذكير أنّ قدرات الجيش اللبناني البرّيّة والبحريّة لا تزال بحاجة إلى المزيد من التعزيز، قبل أن يتمكّن من تولّي النشاطات والمسؤوليات المتصلة بالقرار 1701 بشكل فعلي في منطقة عمليات البعثة. فاستراتيجيّة خروج اليونيفيل مرتبطة بقدرة الجيش اللبناني على ضمان الأمن والاستقرار في جنوب لبنان والمياه الإقليميّة اللبنانيّة. وتحقيقًا لهذه الغاية، لا بدّ للحكومة اللبنانيّة أن تبذل كل ما بوسعها، وللمجتمع الدولي أن يستمرّ في دعم الجيش اللبناني.

وبالفعل، فإنّ جميع أنشطتنا في خدمة السلام والأمن في جنوب لبنان لم تكن لتنفذ لولا تعاون الجيش اللبناني. فالجيش، ومن خلال عمله المستند إلى الشراكة الوطيدة مع اليونيفيل، وعلى الرغم من القيود التي واجهها، قد برهن مرارًا وتكرارًا عن احترافيته والتزامه الكبير في تنفيذ القرار 1701. والواقع أنّ شراكتنا مع الجيش اللبناني قد فتحت آفاقًا جديدة من خلال الحوار الاستراتيجي القائم. أمّا اليوم، فاسمحوا لي أن أتقدّم بشكر خاص من قائد الجيش العماد جان قهوجي وجنوده، تنويهًا بدورهم كحلفاء استراتيجيّين لنا في تأديتنا لواجباتنا.

وفي الوقت عينه، أودّ أن أعرب عن امتناني للحكومة اللبنانية برئاسة السيد نجيب ميقاتي الحكيمة، كما أشكر الفاعليات الروحيّة والمدنيّة، واللبنانيين عامّة، على دعمهم الكبير، وتعاونهم، وحسن النوايا التي تعاملوا بها مع اليونيفيل، ومعي أنا كرئيس للبعثة وقائد للقوّة. ذلك أنّ نجاح مهمتنا ما كان ليتحقق لولا دعمهم المتواصل. ودعوني هنا أذكر بشكل خاص الأهالي في منطقة عمليّاتنا: فنجاح اليونيفيل هو من نجاحهم؛ وهم في الوقت عينه أوّل المستفيدين من إرساء السلام. كما أنّ أي تقدّم يُحرز يكون بفضلهم ويصبّ في مصلحتهم. وأنا أهيب بهم من كلّ قلبي أن يستمرّوا في دعم اليونيفيل.

في النهاية، دعوني أتوجّه إلى العناصر المدنيّين والعسكريّين الذين خدموا بلا كلل في اليونيفيل طوال مدّة ولايتي. ذلك أنّ احترافيتكم وتفانيكم في الخدمة كانت حيويّة لتنفيذ ولاية اليونيفيل. وأودّ أيضًا أن أنوّه بالدعم الكبير الذي تلقيته من قيادة البعثة. فإنّ التزام كلّ فرد منكم بصنع فارق هو ما مكّننا من المضيّ قدمًا!

أخيرًا وليس آخرًا، لا بدّ من التذكير أنّ الإنجازات التي حققتها اليونيفيل إلى الآن ما كانت لتتحقق لولا الالتزام القوي من جانب العديد من الدول المساهمة بالقوات، من خلال الانتشار الكبير للجنود، والأصول البحريّة، والموارد الماليّة الوضوعة بتصرّف اليونيفيل.

في هذه المناسبة المميزّة، أودّ أيضًا أن أحيي جميع من سقطوا في خدمة السلام. فعلى مر السنين، قدّم 293 من الأفراد المدنيين والعسكريين في اليونيفيل حياتهم أثناء خدمتهم في جنوب لبنان. لكنّ تضحياتهم لم تذهب سدى، بل تحثنا جميعًا، وأكثر من أيّ وقت مضى، على الاستمرار في الدفاع عن المبادئ العليا للمنظمة التي كرّسوا حياتهم لأجلها، وستكون شجاعتهم دومًا مصدر إلهام لنا!

إنّي إذ أودّعكم جميعًا، أرحّب بحرارة باللواء باولو سيرّا، الذي، وكما يعرف الكثيرون من بينكم، له تاريخ مهني مشهود له. فهو بعد أن خدم كرئيس أركان فرقة الانتشار السريع الإيطاليّة التابعة لمنظمة حلف شمال الأطلسي، وبعد أن تولى قيادة الغرفة اللوجستيّة الرابعة، وهيئة الأركان العامة للجيش الإيطالي، وقسم تحويل الأراضي في روما، أنا على ثقة انّه ومع دعم الأطراف جميعًا، سوف يواصل الدفع قدمًا بتنفيذ مهمّة اليونيفيل، والسعي إلى تحقيق السلام الدائم والاستقرار لأهالي الجنوب اللبناني.

خلال السنتين المنصرمتين التين أمضيتهما بين شواطئ جنوب لبنان وتلاله كرئيس لليونيفيل وقائد للقوّة، كما خلال الأشهر الأربعة التي كنت فيها قائدًا للقطاع الشرقي، تعلّق كثيرًا بلبنان وبحرارة أهل الجنوب وضيافتهم الكريمة. وإذ أودّع اصدقاء لي هنا، تأكّدوا أنّ هذه البلاد وشعبها الطيّب ستبقى دائمًا في قلبي.

مرة أخرى، اتوجه بخالص تقديري لكم جميعاً لتعاونكم الثابت وصداقتكم الحارّة التي كانت عزيزة جدًّا على قلبي خلال ولايتي .

شكراً جزيلاً.

اللواء ألبرتو أسارتا كوبياس
قائد اليونيفيل/رئيس البعثة